

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ "١" ﷺ الشيخ عماد مجوت



﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ "١"

ﷺ الشيخ عماد مجوت

الشوق للكمال وقصده فطرة إنسانية تتجلى في التعلق بالكاملين من الناس، وأفضل الكمال كمال الأخلاق ، #و من فتش الدنيا ظهراً لبطن لم يجد ولن يجد خلقاً أكمل وأشرف وأتم من خلق الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأي تزكية له بعد الله تعالى العالم بحقائق الأمور حينما يقول له :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. كلمة لم تقل حتى لأنبياء أولي العزم عليهم السلام.

#وواحدة من مفردات ذلك الخلق العظم (تصديقه لأهل الإيمان، وعدم إظهاره التكذيب لأهل النفاق) كما أخبر عنه تعالى في قوله : ﴿وَمِنْهُمْ السَّادِينَ يُلُذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالسَّادِينَ يُلُذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

#وقد روى عليُّ بنُ إِبْرَاهِيمَ في سبب النزول أنه: " كَانَ سَيِّبٌ نَزُولِيهَا أَنْ سَّ عَيْدَ اللَّهِ بِنَ نُهُيْلٍ كَانَ مُنْتَفِيقًا، وَ كَانَ يَقْعُدُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَ يَنْقُلُهُ إِلَى الْمُتَنَافِقِينَ، وَ يَنْمُ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُتَنَافِقِينَ يَنْمُ [عَلَيْكَ]، وَ يَنْقُلُ حَدِيثَكَ إِلَى الْمُتَنَافِقِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ): «مَنْ هُوَ؟».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ الْأَسْوَدُ الْوَجْهِ، الْكَثِيرُ شَعْرِ الرَّسَّاسِ، يَنْظُرُ بَعِيْثَيْنِ كَأَنَّ زَهْمًا قِدْرَانِ، وَ يَنْطِقُ بِلِسَانِ شَيْطَانِ.

فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) فَأَخْبَرَهُ فَخَلَفَ أَرْبَعَهُ لَمْ يَفْعَلْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ): « قَدْ قَبِلْتُ مِنْكَ، فَلَا تَفْعَلْ ».

فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا أُذُنٌ، أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنْ زَيْ أَرْبَعَهُ عَلَيْهِ، وَ أَنْقُلُ أَخْبَارَهُ فَقَبِلَ. وَ أَخْبَرْتُهُ أَنْ زَيْ لَمْ أَفْعَلْ

ذَلِكَ فَتَقَبَّلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَزِيلَهُ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ - وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَيْ يُصَدِّقُ اللَّهَ - فِيمَا يَقُولُ لَهُ، وَ يُصَدِّقُكُمْ فِيمَا تَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ، وَ لَا يُصَدِّقُكَ فِي الْبَاطِنِ، قَوْلُهُ : وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ". تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٠٦ .

#فكانوا يقولون عنه [أُذُنٌ] أي يستمع لكُلِّ ما يُقالُ له، فَيُصَدِّقُهُ. وهو ما يتصوره المنافقون منقصة له ( صلى الله عليه وآله وسلم) في حين زكاه القرآن بقوله : [وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ] أي يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُخْبِرُونَ، #وهذه أعظم موعظة في ثقافة التعامل مع الناس، مؤمنهم ومنافقهم؛ حيث يكرم المؤمن بالتصديق ولا يهان حتى المنافق بالتكذيب.

#ومن هنا جرت السنة في تصديق مقالة المؤمن متابعة للحبيب المصطفى ( صلى الله عليه وآله وسلم) فقد روى الشيخ الأشيبي : عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِثْمَانَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، قَالَ : « إِنْ زَيْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَبْضِعَ فُلَانًا بِضَاعَةً إِلَّا لِي الْيَمَانَ ، فَأَتَيْتُ إِلَّا أَبِي جَعْفَرَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فَقُلْتُ : إِنْ زَيْ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَبْضِعَ فُلَانًا ؟

فَقَالَ لِي : أَمْ مَا عَلِمْتَ أَنْ زَيْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ ».

فَقُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ زَيْ هُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ. فَقَالَ : « صَدِّقْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ : يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ».

فَقَالَ : « يَعْنِي يُصَدِّقُ اللَّهَ - وَ يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّ زَيْ كَانَ رَاءُوفًا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ». تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٠٧.

#ونحن مدعوون اليوم لتصديق المؤمنين متابعة للحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم إخراج حتى الكاذب محبة به (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه الأسوة الصالحة في الأخلاق: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

#وثنم المتابعة محبة الرحمن لنا: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].